تعليم التاريخ في المناهج الإسرائيلية بين منطق الوقائع ونزعات الأيديولوجيا
(قراءة في كتاب)

نسرين عواد

عنوان الكتاب	الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية (1948– 2000)
تأليف	إيلي بوديه
ترجمة	وليد أبو بكر
الناشر	المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، رام الله 2006
عدد الصفحات	234 صفحة
الحجم	من القطع المتوسط

في خضم الوضع الحالي، وما تمر به القضية الفلسطينية من تغيرات جوهرية ومفصلية على الأصعدة كافة؛ تم اختيار هذا الكتاب لتقديم قراءة تحليلية له نظراً لأهمية الموضوع الذي يتناوله، فموضوع المناهج الدراسية، وبخاصة التاريخية عند الآخر الإسرائيلي، وما تساهم به من دور فعال في توجيه الصراع العربي – الإسرائيلي قد يعتبر من أكثر المواضيع حساسية وإثارة للجدل والنقاش.

بالإضافة إلى أن انتهاء إنتاج الجيل الأول من المناهج الفلسطينية المدرسية، وما أثارته هذه المناهج من جدل ونقاش وتحليل ضمن العديد من المستويات الداخلية والخارجية، أضفت على موضوع الكتاب أهمية إضافية وضرورة لتقديم قراءة له.

ما يحاول الكاتب هنا التأكيد عليه في كتابه الذي بين أيدينا، هو أن تدريس التاريخ واستخدام كتب التاريخ المدرسية كانا في النهاية محصلة صراع بين مدرستي تفكير مختلفتين: أولاهما مدرسة النهج الأكاديمي التي تؤكد على ضرورة الموضوعية أو على الأقل ضرورة غياب التحيز، أما المدرسة الثانية فهي مدرسة النهج القومي التي تنظر إلى التعليم كأداة مسؤولة بيد الدولة لغرس القيم القومية حتى على حساب الاستخدام الانتقائي للشواهد التاريخية، ويضيف مؤلف الكتاب إيلي بوديه، أستاذ الشرق الأوسط الحديث في قسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في الجامعة العبرية– القدس، أن محاولة المزج بين هذين النهجين قد أنتج نهجاً جديداً وهو النهج التركيبي. ليتوصل الكاتب في النهاية إلى أن جميع مدارس التفكير قد وجدت مكانها في الجهاز التعليمي الإسرائيلي خلال الفترات أو المراحل التاريخية التي قام بوديه بالتطرق إليها خلال دراسته.

فيقدم بوديه، دراسة لموضوع قد يعتبر من أكثر المواضيع إثارة للجدل؛ حيث لم يتم من قبل إثارته والتعرض إليه بالتحليل العميق كما الطريقة التي اتبعها إيلي بوديه في كتابه الذي جاء تحت عنوان: **الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية 1948–2000**.

اختار الباحث هنا أن يقدم لنا دراسة يتوصل من خلالها إلى طبيعة الدور الذي تلعبه وتساهم به كتب التاريخ الإسرائيلية المدرسية في إذكاء الصراع العربي الإسرائيلي، أو "الصراع الصامت"، كما تمت الإشارة إليه في أكثر من مرة في الكتاب، بالإضافة إلى الكيفية التي تصور بها هذه المناهج المدرسية الإنسان العربي، وهي استنتاجات أشار إليها الكتاب باستمرار.

ويرى بوديه أن هذه الكتب المدرسية المتخصصة في التاريخ لعبت وستلعب دوراً حاسماً في الصراع العربي الإسرائيلي؛ وذلك من خلال إنتاجها وبلورتها لثقافة ووجهة نظر وآراء طرف من طرفي الصراع، وهو الطرف الإسرائيلي بالتأكيد، حيث يساهم بدور سلبي بكل المقاييس في عملية الصراع العربي الإسرائيلي.

فيؤكد الباحث على ذلك من خلال إشارته لاستطلاع رأي أكاديمي نشر في أيار من العام 1997 عن أن 40 بالمائة من طلبة المدارس الثانوية الإسرائيلية يكرهون العرب، وأن 60 بالمائة منهم يشعرون بدافع قوي للانتقام، كما اظهر الاستطلاع أن هناك ارتفاعاً في نسبة المواقف السلبية اليهودية اتجاه العرب منذ السبعينيات، ولكن وعلى الرغم من تعدد الأسباب التي تساهم في تشكيل هذه الرؤية، فإن بوديه يميل إلى اعتبار الكتب المدرسية المنحازة قد لعبت دوراً مهماً في تشكيل مختلف

المواقف السلبية اتجاه العرب. ويتابع بوديه بالقول إن هذا الفهم الذي يتلقاه الطالب في مرحلة طفولته يرافقه حتى مرحلة نضجه، ما قد يؤثر على وجهة نظره السياسية، حيث يورد ما قاله أحد الأكاديميين "نحن لا نستطيع أن نصل إلى أي إدراك لواقع حالي لا يكون متأثراً بقوة بصورة من الماضي، وانتقلت إلى حياتنا خلال الرشد، ومثل هذه الصورة المعدلة تتنوع وتكون مهمة، لأنها تقرر كيف نفهم الأحداث التي تتم داخل واقعنا الحالي ونتصرف اتجاهها".

ويشير الكاتب هنا إلى أن الحرب في البداية تبدأ في عقل الإنسان، ومن ثم تنتقل بين البشر، من هذا المنطلق قام بوديه بهذه الدراسة التي سيقدم لنا من خلالها ما توصل إليه من نتائج عن الدور الذي تلعبه كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية من شحذ للعدوانية، والمساهمة في استمرارية الصراع، والعمل على خلق حالة التردد في اللجوء إلى الحل السلمي بين طرفي الصراع، ولا بد من التنويه هنا إلى أن بوديه قد وجه نقداً مماثلاً للكتب العربية المدرسية، وبخاصة الفلسطينية المنحازة في روايتها التاريخية، حيث أكد على أنه مهما يكن نوع التعبير الذي ستقوم به المناهج الدراسية الإسرائيلية، فإنه سيظل محدوداً إذا لم تحدث تغيرات موازية في المناهج والكتب المدرسية الفلسطينية، فبوديه يرى أن الفلسطينيين في وضعهم الحالي يحاولون أن يكرروا ما كانت عليه إسرائيل قبل خمسين عاماً، حيث يسعون إلى تشكيل ذاكرتهم الجماعية الخاصة، وينتجون روايتهم التاريخية، وبخاصة أن الفلسطينيين أنتجوا الجيل الأول من الكتب الدراسية. كما يضيف بوديه أنه على المناهج الفلسطينية أن لا تكرر الخطأ الذي ارتكبته الكتب الإسرائيلية المدرسية، وأن تختصر الطريق عبر الاستفادة من التجربة الإسرائيلية.

أما فيما يتعلق بعدم تقديم بوديه دراسة مقارنة بين المناهج التاريخية الفلسطينية والمناهج الإسرائيلية، فذلك يعود لعدم وجود جيل فلسطيني كامل من المناهج المدرسية الفلسطينية، لذلك أثر الكاتب أن يقوم بتقديم هذه الدراسة فقط من خلال تقديمه قراءة نقدية لكتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، والدور الذي لعبته في الصراع العربي الإسرائيلي خلال فترة 1948-2000.

وبالنسبة للسياق الزمني، عمل بوديه على تقسيم دراسته إلى ثلاث مراحل زمنية: وكل مرحلة تحمل ملامح معينة مختلفة عن الأخرى، فالمرحلة الأولى أطلق عليها اسم مرحلة الطفولة (1920-1967)، أما المرحلة الثانية وهي مرحلة المراهقة (1967-1984)، والمرحلة الثالثة وهي مرحلة التحول أو البلوغ (1985-2000).

استهل الكاتب دراسته بتقديم عن نوعية الأبحاث الخاصة بالكتب الدراسية في الغرب، حيث يرى أنه من الصعب التعرف على الدور الدقيق الذي لعبته الكتب الدراسية مقارنة بأدوات التنشئة الأخرى، فتعرض الجيل الجديد لوسائل وأجهزة الإعلام المختلفة والمتعددة قلل من مركزية الكتب الدراسية كأداة للتعليم، ومع ذلك فإن معظم الباحثين في حقل التعليم لا يزالون يتفقون على أن الكتب الدراسية ما زالت أساسية.

وقدم بوديه في هذا القسم من دراسته أهم آراء المحللين والنقاد الغربيين في الكتب المدرسية، والدور الذي تلعبه في حياة الطالب وما تشكله على المدى البعيد من ذاكرة جماعية للمجتمع بأكمله.

أما القسم الثاني، فقد خصه الكاتب بدراسة آراء حول تعليم التاريخ والآلية التي تم من خلالها تعليم التاريخ، فيؤكد بوديه أن تدريس التاريخ واستخدام كتب التاريخ المدرسية كانت في النهاية محصلة صراع بين مدرستي تفكير مختلفتين: أولاهما مدرسة النهج الأكاديمي التي تؤكد على ضرورة الموضوعية أو على الأقل ضرورة غياب التحيز، أما المدرسة الثانية فهي مدرسة النهج القومي التي تنظر إلى التعليم كأداة مسؤولة بيد الدولة لغرس القيم القومية حتى على حساب الاستخدام الانتقائي للشواهد التاريخية. ويضيف بوديه أن محاولة المزج بين هذين النهجين قد أنتج نهجاً جديداً وهو النهج التركيبي.

يتوصل بوديه في النهاية إلى أن كل مدارس التفكير قد وجدت مكانها في الجهاز التعليمي الإسرائيلي خلال الفترات أو المراحل التاريخية التي قام بوديه بالتطرق إليها خلال دراسته.

ويخلص الكاتب في نهاية هذا القسم إلى أن جهاز التعليم الإسرائيلي اختار النهج القومي خلال العقود الأولى المبكرة من قيام الدولة الإسرائيلية على الرغم من أن النهج التوفيقي أو التركيبي كان له تأثير كبير أيضاً، ويفسر الباحث هذا التوجه بأن جهاز التعليم الإسرائيلي لم يكن مختلفاً عن أي جهاز تعليم في الدول النامية التي حصلت على استقلالها حديثاً، حيث كانت تحاول أن تخلق ذاكرة جماعية متميزة، وأن هذه العملية كانت مكثفة في إسرائيل تحديداً كونها تأسست كملجأ أو بوتقة للمهاجرين اليهود من كل أنحاء العالم.

القسم الثالث، وقد يكون القسم المركزي في دراسة بوديه وهو: المراحل الثلاث التي سارت بها المؤسسة التعليمية الإسرائيلية في عرضها ومعالجتها للصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية.

المرحلة الأولى وهي مرحلة الطفولة (1920-1967): يلاحظ بوديه من خلال دراسته أن الفترة ما قبل هذه المرحلة اتسمت خلالها الكتب الدراسية بتأكيدها على الصلة العربية والعبرية، وقد انتشرت في هذه المرحلة العديد من الآراء اليهودية التي تنتقد السلوك اليهودي السلبي الواسع الانتشار اتجاه العرب.

فمرحلة الطفولة -حسب رأي الباحث- تميزت بأن جهاز التعليم اليهودي خلالها هدف إلى تقوية الهوية الصهيونية، حيث تجاهلت الكثير من الروايات التي وردت في تلك المرحلة الجانب العربي، وموقف العرب من المشروع الصهيوني. ويركز الكاتب على أن هذه المرحلة من التهميش والتجاهل قد تكون تامة للتواجد العربي، هذا طبعاً بالتوافق مع غياب تدريس التاريخ والثقافة واللغة العربية، فيشير بوديه إلى أن تعليم العربية في جهاز التعليم الإسرائيلي احتل أسفل سلم الأولويات، حيث كانت العربية فقط تدرس في 10% من المدارس العبرية في الخمسينيات والستينيات. ويؤكد الكاتب أن هذا الوضع كان مرتبطاً بالنظرة الدونية المنتشرة في المجتمعات اليهودية للغة العربية باعتبارها لغة "وضيعة"؛ وأن أهالي التلاميذ في ذلك الوقت كانوا يفضلون أن يتعلم أبناؤهم لغات أجنبية غير العربية، بسبب تلك النظرة الدونية للغة العربية التي كانت سائدة في المجتمعات اليهودية.

بالتالي، يؤكد الكاتب أن الهدف المعلن لوزارة التعليم الإسرائيلية في

هذه المرحلة "مرحلة الطفولة" هي ترسيخ الفكرة الصهيونية والهوية اليهودية في أذهان التلاميذ، وذلك من خلال كتب التاريخ المدرسية، وبالتالي فإن فترة الستينيات كانت تسعى إلى تعزيز التماهي بين التلميذ والتاريخ الإسرائيلي، كما أن الجهاز التعليمي لم يقم إلا بالقليل من أجل تشجيع دارسة الصراع العربي الإسرائيلي أو اللغة العربية حتى العام 1976، وفي السياق ذاته، فإن الباحث الإسرائيلي البروفسور دانيئل بار-طال، أستاذ علم النفس الاجتماعي في جامعة تل أبيب، عمل على بحث شخصية العربي التنميطية في الروح الإسرائيلية، وبناء على ذلك، فإن ما تقدم بشأن مواقف الشبان الإسرائيليين من كرههم للعرب ورغبتهم في الانتقام، يؤكد أن هذا التعامل السلبي من طرف اليهود اتجاه العرب تم اكتسابه في جيل مبكر لدى جميع فئات المجتمع الإسرائيلي؛ أي أن التربية الإسرائيلية تساهم في اكتساب هذا التعامل الثقافي السلبي إزاء العرب، فأولاد إسرائيل يتعلمون التنميط السلبي للعرب من ثقافة المجتمع، حيث أن هذا الوضع يتفاقم في جيل الطفولة حتى سن 9-10 سنوات، حيث يبلغ ذروته، وربما بعد ذلك تطرأ لدى البعض عملية اعتدال متدرجة، ولكن في جميع الحالات يظل مفهوم العربي سلبياً بالمطلق.

المرحلة الثانية وهي مرحلة المراهقة (1967-1985): إن حرب العام 1967 شكلت حداً فاصلاً في التعليم الإسرائيلي، فقد أثرت في تعليم الصهيونية على التاريخ واللغة العربية. من ناحية أخرى، عكست هذه التغيرات في التعليم، بصورة مباشرة، التغيرات التي حصلت في المجتمع الإسرائيلي ككل، فصورة العربي لم تعد مجهولة، بل أصبحت أكثر تجسيداً، فقد أصبح لدى بعض الإسرائيليين رغبة خالصة في أن يعرفوا أكثر عن جيرانهم العرب، وهذا كله بسبب تعرض المجتمع الإسرائيلي، أكثر من أي وقت مضى، إلى فيض من المعلومات حول العالم العربي ومنظمة التحرير الفلسطينية من وسائل الإعلام ومن العالم الأكاديمي.

وقد عرض بوديه في دراسته لهذه الفترة التاريخية أهم الآراء والانتقادات والمطالب التي وجهت لوزارة التعليم الإسرائيلية في تلك الفترة التاريخية، بضرورة تدريس الصراع العربي الإسرائيلي، وفي المقابل التوجهات التي برزت في تلك الفترة حول ضرورة ترسيخ الوعي الصهيوني، وبخاصة على ضوء الهجرة المتزايدة من إسرائيل.

ففي بداية الثمانينيات، ما زالت كل المؤشرات تشير إلى أن وجهات النظر السلبية عن العرب لا تزال مؤثرة إلى حد كبير، وقد استمر تعليم التلاميذ في هذه الفترة وفقاً لوجهات النظر التي ترى بضرورة زيادة الوعي الصهيوني لدى التلميذ.

يضيف بوديه أن حرب لبنان 1982 قد أحدثت صراعاً أيديولوجياً وسياسياً في إسرائيل، وكانت لها نتائج بعيدة المدى في المجتمع الإسرائيلي، فقد أنتج هذا الوضع حركات يمينية متطرفة في إسرائيل، ما أدى إلى حدوث صراع أيديولوجي بين فئات التعليم المختلفة، وقد ركزت المناهج التي صدرت في تلك الفترة على وحدة إسرائيل، وعلى ضرورة التسامح بين السكان المتدينين والعلمانيين، مقابل فشل هذه المناهج في التطرق للتوتر بين العرب واليهود.

وفيما يتعلق بالعلاقة بين جهاز التعليم الإسرائيلي العلماني والجهاز الديني، فإن بوديه يتوصل إلى نتيجة مفادها أن عدداً كبيراً من الكتب نفسها يستخدم في الجهازين، ومن خلال تحليله للكتب الدراسية، وبخاصة المستخدمة في الجهاز الديني، فإنه يستنتج أنها أكثر تحيزاً من الكتب الموجهة إلى الجهاز العلماني، فموضوع الصهيونية وإسرائيل، وبخاصة ما بعد العام 1948 خضعت له ساعات دراسية أقل مما لدى المدارس الدينية.

المرحلة الثالثة والأخيرة وهي مرحلة البلوغ أو التحول كما أطلق عليها بوديه (1985-2000): فهي المرحلة الأهم، حيث يجب النظر إليها كخطوة مهمة نحو التغير الإيجابي في المناهج الإسرائيلية، ولكن هذه العملية لا تحمل تقدماً واضحاً، وهي عبارة عن عملية فيها مد وجزر.

اتسمت هذه المرحلة بظهور الدعوات الموجهة إلى جهاز التعليم الإسرائيلي بضرورة إيجاد برنامج التعليم من أجل التعايش السلمي بين اليهود والعرب؛ على أساس أن الحاجة للتعامل مع العلاقات اليهودية العربية في إسرائيل، والعلاقات مع الدول العربية هي ضرورة وجودية، وكان تجاهل هذين الموضوعين يعني تنشئة الجيل اليهودي الأصغر في اتجاه الجهل والاغتراب عن الأسئلة الوجودية المتعلقة في وجود الإسرائيليين.

وقد غلب على هذه الفترة ظهور النقاشات التحضيرية في وزارة التعليم الإسرائيلية، التي تؤكد على ضرورة أن يتم التركيز في المناهج الحالية على الفرد والفرد اليهودي، وإيجاد مواضيع جديدة في مناهج التعليم؛ مثل "التعليم من أجل الديمقراطية"، و"التعددية والتسامح من أجل الآخرين"، و"احترام الأقليات".

وقد تم في تلك الفترة البدء بترتيب اللقاءات الطلابية اليهودية العربية بهدف تبديد المخاوف لدى الطرفين، والتخلص من الأنماط السلبية المتبادلة.

وقد ظهرت في تلك الفترة الكثير من التغيرات التي حصلت على مناهج التاريخ المدرسية الإسرائيلية، وأصبح هناك توجه إلى ذكر الآخر. ولكن بوديه يؤكد أنه على الرغم من هذه الوفرة في النشاط التعليمي، فإنه لم يكن هناك توقعات حول تعديل ما فشلت الوزارة في أن تفعله خلال خمسين عاماً في عام واحد، وكان من غير المعقول افتراض أن التلاميذ يمكن أن يستوعبوا هذا الكم من المعلومات في الكثير من المواضيع في عام واحد، وبالتالي أن يغيروا وجهة نظرهم التي تشربوها طويلاً عن الآخر.

في النهاية يلفت الباحث نظرنا إلى أنه مع كل تلك التغيرات التي توجد في كتب الجيل الثالث، فإنه لا يجوز القفز عنها أو الحط من شأنها، فهذا التحسن ينطلق بالأساس من تطورين مهمين: أولهما ظهور مادة تاريخية أرشيفية موضوعية تم السماح بعرضها مؤخراً؛ وهي أكثر نقداً لإسرائيل والحركة الصهيونية، حيث احتاجت هذه الدراسات لما يزيد على عقد حتى تخترق رواية الكتب الدراسية الإسرائيلية الجديدة. ثاني هذه التطورات هو التحسن نتيجة التغيرات في المجتمع الإسرائيلي من ناحية وجهة نظره في الآخر، ففي النهاية من الواضح أن التغيرات

في منهج التاريخ وفي محتويات الكتب الدراسية تعكس مجتمعاً أكثر نضجاً يستطيع أن يرى النقد الذاتي لا كإشارة على الضعف، بل كمصدر قوة.

في الفصل الأخير من دراسته، يقوم الباحث بعرض بعض المواضيع المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي، والكيفية التي تم التعامل بها في هذه المواضيع في الكتب المدرسية الإسرائيلية تبعا لكل مرحلة.

أول هذه المواضيع التي تطرق إليها الكاتب هو التراث الثقافي الإسلامي؛ وكيف أن عدداً من كتب الجيل الأول الإسرائيلية حملت أحكاماً مسبقة في معالجتها للإسلام والعرب في العصر القديم. ويعلق بوديه أن هذا التوجه تبنته كتب الجيل الثاني، أما كتب الجيل الثالث فقد وصفت وصفاً متوازناً للمرحلة الأولى من الإسلام. وحسب رأي الكاتب، فإن تعليم التراث الإسلامي في الكتب التاريخية المدرسية يشكل فجوة بين التاريخ الإسلامي المبكر والتاريخ المعاصر في ذهنية الطالب الإسرائيلي.

هذا بالإضافة إلى موضوع الدولة العثمانية، وكيف أن هذه الفترة التاريخية هي شبه مهملة في كتب التاريخ الإسرائيلية، وتزامن هذا بإشارة بوديه إلى فترات الهجرة اليهودية كالفترة الأولى 1882-1902، وكيف أن كتب التاريخ الإسرائيلية المدرسية في استعراضها لهذه القصة تتجاهل وجود العرب، مصورة أرض إسرائيل كأرض خالية ومقفرة. أما في عرضها للهجرة الثانية (1904-1914)، فأشار بوديه إلى أن كتب الجيل الأول الدراسية تجاهلت المسألة العربية على ضوء تدهور العلاقات العربية اليهودية خلال تلك الفترة، وكيف سادت الصورة الإيجابية للمستوطنين اليهود والسلبية للعربي، حيث غلبت هذه الصورة أيضاً على مناهج الجيل الثاني، وفي المقابل يؤكد بوديه أن كتب الجيل الثالث قد حملت للهجرة الثانية أكثر توازناً بشكل واضح.

هذا بالإضافة إلى العديد من القضايا التي تدخل في صلب الصراع العربي الإسرائيلي التي قام الباحث بدراسة الآلية أو الرواية التي انتشرت عنها في كتب التاريخ الإسرائيلية، كاتفاقيات الحرب العالمية الأولى، فقد ركزت جميع الكتب المدرسية الإسرائيلية على إعلان وعد بلفور 1917، أما موضوع القومية العربية ومراسلات مكماهون- حسين فقد تم تجاهلها والتقليل من أهميتها في المناهج الإسرائيلية.

وفيما يخص موضوع مصطلح فلسطين والفلسطينيون، فقد اتسمت كتب الجيل الأول بعدم استخدامها لهذا التعبير واستبداله بتعبير أرض إسرائيل.

"اللاجئون" . . يلاحظ الباحث أن كتب التاريخ الإسرائيلية اعتادت على أن تقدم موضوع اللاجئين على أن إسرائيل لم يكن لها دور في خلق المشكلة، وأن العرب قد هربوا من البلاد ببساطة، على الرغم من محاولات إسرائيل أن تقنعهم بالبقاء، وهذه الرواية مع تغيرات طفيفة بقيت كما هي إلى حد كبير حتى تسعينيات القرن العشرين.

آخر المواضيع التي قام بوديه بإثارتها هو موضوع الأقلية العربية في إسرائيل، وأكد أنه حتى العام 1985 عندما ادخل كتاب **المواطنون العرب في إسرائيل** إلى منهج المدنيات، كان هذا الموضوع موجود ضمن عدد من كتب المدنيات المدرسية، حيث وصفت الأقلية العربية في إسرائيل بصورة أقل تحيزاً مقارنة بوصف الفلسطينيين والعرب، إلا أن هذه الصورة ظلت تعكس الشك وعدم الثقة، وبخاصة في كتب الجيل الأول.

في الفصل الأخير يقوم بوديه بسرد النتائج التي توصل إليها من خلال الدراسة، حيث يعود ويؤكد أن الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع صامت في الكتب الدراسية، وذلك لأنه يشكل على المدى البعيد أثراً نفسياً لا يمكن أن ينسى بسهولة من عقلية المواطن، وحتى صانع القرار اتجاه الطرف الآخر.

أما تلخيص أهم سمات المراحل الزمنية التي استخدمها الكاتب، فيرى أن فترة الطفولة تميز جهاز التعليم خلالها بانشغاله في ترسيخ القيم الصهيونية، فقد اتسمت الكتب الدراسية في تلك المرحلة بإخفاء الحقائق ومراقبتها في المواضيع الحساسة كمشكلة اللاجئين وغيرها.

وبالتالي، فقد استخدم جهاز التعليم في تلك المرحلة الكتب المدرسية كأداة في الصراع الأيديولوجي العربي اليهودي، ولتبرير المواقف الإسرائيلية، وللتأكيد على الأسباب الصهيونية لرفض الحقوق العربية.

أما مرحلة المراهقة فيؤكد بوديه على أن الوعي المتزايد بالمشكلة العربية ميز جهاز التعليم خلال هذه الفترة، فاللقاء الأول مع الدول العربية والفلسطينيين في الضفة الغربية بعد حرب 1967، أدى إلى اختلاف الكتب في هذه المرحلة عن المرحلة الأولى، بتعاملها مع مواضيع محددة وفترات زمنية محددة، كما أن الرواية التاريخية كانت أكثر اختصاراً مع تضمين مزيد من المصادر الأساسية. باختصار، فإن كتب المرحلة الثانية على وجه العموم كانت أكثر تنوعاً من ناحية أيديولوجية وأقل تحيزاً على الرغم من افتقارها إلى الرواية الواضحة، بالإضافة إلى استمرار الكتب في التصريحات المتحاملة، والأوصاف النمطية، والانحياز، ولكن بصورة مهذبة وغير مباشرة.

أما الجيل الثالث من الكتب الإسرائيلية المدرسية، فيؤكد الباحث على ضرورة النظر إليها كخطوة مهمة نحو إدراك الهدف الذي سعت إليه الكتب الجديدة؛ مثل الاتصال الثقافي المتبادل القائم على معرفة التاريخ العربي والثقافة واللغة.

في النهاية، يؤكد الباحث أنه على المجتمع الإسرائيلي أن يدرك أن الكتب الإسرائيلية المدرسية المنحازة لعبت دوراً مهماً في تشكيل المواقف السلبية اتجاه العرب. وفي النهاية، فإن هذه الكتب المنحازة قد ساهمت في تصعيد الصراع العربي الإسرائيلي، وأعاقت أي تغير جذري في وجهة النظر الإسرائيلية اتجاه العرب.

وختاماً، يرى بوديه أنه مهما كان أثر التغير عميقاً، فإنه سيظل محدوداً في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية إذا لم تحدث تغيرات موازية في المنهاج والكتب الدراسية العربية، وبخاصة الفلسطينية.

نسرين عواد
معهد الحقوق – جامعة بيرزيت
باحثة في مركز القطان